المبحث الأول

التشريع الأول للتأمين الاجتماعي في التاريخ

إن مـــن يمعـــن النظر ويدقق الفكر في الشريعة الإسلامية يجد أن فيها نظاماً متكاملاً للتأميـــن الاجتماعي وآخر للضمان الاجتماعي ، بما يجعلنا لسنا في حاجة إلى هذه الكثرة من تشريعات التأمين والضمان الاجتماعي .

وسوف نوضح ذلك فيما يلي بعد أن نذكر أول تشريع للتأمين الاجتماعي في التاريخ :

قـــد يعتقد البعض بأن التأمين الاجتماعي الذي سن له المشرع قوانين وأوامر ولوائح ، والتـــي يرجع أول اصدار له إلى عام ١٨٥٤م أي منذ مائة وخمس وخمسين عاماً تقريباً ، بأن ذلـــك يعنـــي أن المشرع الوضعي قد اهتم اهتماماً بالغاً في كفالة الأمن الاجتماعي للإنسان ، ولكـــن من يوطد الفكر ويثقب النظر في آيات القرآن الكريم يجد أن التأمين الاجتماعي قد وجد مـــنذ آلاف السنين ، وأن أول تشريع للتأمين الاجتماعي في التاريخ لتحقيق الاستقرار والأمن الاقتصادي والزراعي والقومي للبلاد قد وجد في عهد سيدنا يوسف عليه السلام ، وذلك حينما طلـــبوا من سيدنا يوسف عليه السلام تأويل الرؤيا التي رآها ملك مصر ووقائعها هي ﴿**يوسف أيهـــا الصـــديق أفتـــنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون**﴾[١] .

فوقـــائع هـــذه الـــرؤيا واضـــحة المعالم سبع بقرات سمينة يأكلهن سبع هزال ، وسبع سنبلات خضر يأكلهن سبع يابسات .

فأوّلهـــا ســـيدنا يوسف عليه السلام بقوله: ﴿**قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون**﴾[٢] .

فقـــد أمـــرهم الصديق يوسف عليه السلام بأن يزرعوا سبع سنين متواصلة ومتوالية، ولكـــن عـــند الحصـــاد يتركوا هذا الحب في سنبله لئلا يفسد ويدخل فيه السوس إلا مقدار ما يحتاجون إليه وبقدر الحاجة .[٣]

---

(١) سورة يوسف ، آية ٤٦ .

(٢) سورة يوسف ، آية ٤٧ .

(٣) يراجع في معنى ذلك : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي والمعروف بتفسير القرطبي ج٤ ص٣٥٢٥ وما بعدها دار الغد العربى بالقاهرة الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـــ - ١٩٩٨م .

فهـو تأمين اجتماعي في سورته الزراعية وادخار لما يزيد عن قدر الحاجة لكي ينفع في أيام وسنين أخر تكون الحياة فيها مجدبة والأرض لا تنبت زرعا ، حيث أراد بسبع بقرات سـمان والسـنبلات الخضـر هـي السبع سنين المخصبة ، وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فهي السبع سنين المجدبات ، ثم أعلمهم بفائدة الادخار ومنه عنصر الأمان الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي ، قال تعالى: ﴿**ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون**﴾[1]، أي يأتي بعد السنين السبع المخصبة سبع شداد وهي السنين المجدبات لكـي يأكلـن ويستهلكن ما ادخرتم لأجلهن ، والمراد بقوله: ﴿**إلا قليلا مما تحصنون**﴾ أي مما تحبسون لتزرعوا ، لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات .[2]

بل ويضيف سيدنا يوسف عليه السلام رؤية مستقبلية جديدة وهي أنه بعد السنين السبع المجدبـة ، سـوف يأتـي بعـد ذلـك علم فيه يمطر الناس ويمارسون حياتهم اليومية بعصر المنـتجات التـي تستخرج من الأرض كالعنب والسمسم والزيتون .. الخ ، قال تعالى: ﴿**ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون**﴾[3].

ومـا ذكـر فـي سـورة يوسف يعد دلالة حقيقية على التأمين الاجتماعي ، وإن كان بصـورة جماعـية ، إلا أنه في حقيقة الأمر ما هي إلا جهود أفراد بتعاون جماعي كامل لكي يصلوا إلى هذه النتيجة ، ولكي يصلح بذلك حال المجتمع .

يقـول الإمـام القرطبي معبراً عن نظرية العمل والجهد ثم إدخار جزء من هذا الجهد والعمـل لكي ينفع في أيام أخر وهي نظرية التأمين الاجتماعي " هذه الآية [4] أصل في القول بالمصـالح الشـرعية التـي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال ، فكل ما تضـمن تحصـيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة ، وكل ما يفوت شيئا منها فهو مفسدة ، ودفعـه مصلحة ، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية ليحصل لهـم التمكـن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية ، ومراعاة ذلك فضل من الله عز وجل ورحمة رحم بها عباده من غير وجوب عليه ولا استحقاق " .[5]

---

(١) سورة يوسف ، آية ٤٨ .

(٢) يراجع في معنى ذلك : الجامع لأحكام القران للقرطبي والمعروف بتفسير القرطبي ج٤ ص٣٥٢٥ وما بعدها .

(٣) سورة يوسف ، آية ٤٩ .

(٤) وهـي قوله تعالى (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون) . سورة يوسف آية ٤٧ .

(٥) تفسير القرطبي ج٤ ص٣٥٢٥ وما بعدها .